إلى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة المستر فرانك سونيرتن

للأستاذ احمد فتحي

إن ثلاثين عاماً قد تصرمت بعد إخراج قصتي الأولى سنة ١٩٠٩ . ولذلك فإني أعتذر من عدم تذكري سوى القليل من محتوياتها

كنت في ذلك الحين أعمل في بعض مكاتب النشر ، أراجع « البروفات » ، وأحرر بعض الرسائل إلى المؤلفين ورجال الطباعة لقاء خمسة وثلاثين شلناً في الأسبوع

وكان من عادتي أن أتناول وجبات طعامي في بعض مشارب الشاي ، أو في مطعم رخيص في « سانت مارتن لين » يقال له مطعم « سانت جورج » . وبعد أن أفرغ من عشائي تتشعب بي المسالك ، فإما أن أذهب إلى ملهى للتمثيل ؛ أو أمضي إلى حيث أسمع محاضرة واحد من الأعلام ، وأتوجه إلى بيتي لأكتب بعض الخواطر على منضدة تخيط عليها أمي الثياب ، ويرسم عليها أخي بعض الصور لبعض المجلات التي تصدر من أجل الناشئة !

ولم تكن آمالي معلقة باحتراف القلم بل كان من ودي لو أغدو صحافياً لا قصصياً . غير أني كتبت قصة طويلة كاملة وأنا في الثامنة عشرة ، ثم أحرقتها ؛ وأتبعتها بأخرى وأنا ابن عشرين ولكنها كانت قصيرة جداً ، وكان اسمها « الطريق الحق » عرضتها على ستة من رجال النشر قبل إحراقها . غير أن واحداً من هؤلاء الناشرين جميعاً لم يرفضها بطريقة تبعث على اليأس ، بل أعادوها إليّ مصحوبة بكلمات التشجيع ، وبعد تجربة أخرى ، كتبت قصتي الأولى الناجحة « القلب السعيد » !

وكانت قصة « القلب السعيد » على ما أذكر تنتظم طائفة من الشخصيات ، منها البطل ، وهو شاب مرح موفق في مثل سني وشقيقته ، وصديق له ، وحبيبته ، وأمه ، وأبوه الذي كان يغشى حقيقة حاله غموض كثير . . . كما كان من الشخصيات الملحوظة كذلك فتاة خادم في مشرب ، ورجل آخر غير موفق إلى خير

لم تكن لي شقيقة ، ولا أب ، ولم أكن أعرف — في ذلك الحين — مثل تلك الفتاة الخادم في مشرب الشاي ، ولا مثل ذلك الرجل الذي يخطئه التوفيق على الدوام ، وأما الأم فقد كانت تختلف تماماً عن أمي ، التي كانت أقل النساء إيثاراً لنفسها ، وأملهن حظوة بالسعادة ! وهكذا لم يكن في القصة من شيء قد استوحيته الحقيقة الماثلة سوى البطل الشاب المرح الموفق . وكذلك لا تعدم الحياة وجود أمثاله على الدوام !

كان هذا الشاب أجنبياً عن البلاد ، يشتغل في وكالة لبعض الأعمال الخارجية ، وقد عرفته من طريق أخي الذي كان صديقاً له ، وكان يعول أخته ، ويجهد أن يعين حبيبته على أمور حياتها . وقد حدث أن خرج وإياها في نزهة ، وانتهى بهما المطاف إلى مشرب للشاي ، حيث اتفق أن رأته يقبل الفتاة خادم المشرب . ولقد جرّت عليّ هذه الأزمة الأخيرة — في القصة — تعنيف صديقة كانت على وشك الزواج ، إذ ساءها أن بطل قصتي لم يكن على شيء من متانة الخلق ولا الثبات على حب واحد !

ولست أدري ماذا حدث لقصتي بعد ذلك من حيث تسجيل الحوادث ولا أظنها كانت متأثرة بواحد من كتاب السلف ، عدا « لويزا آلكوت » التي كنت قد قرأت له أقاصيص متتابعة منذ عام ١٨٩٤

وحين ألتفت إلى الوراء ثلاثين عاماً ، يبدو لي أن مؤلف « القلب السعيد » رجل آخر لا يحمل اسمي ولا يمت إلي بسبب . وإن صورته الشمسية لتنطق بأنه كان ذا رأس مستطيل ، غزير الشعر ، وأنه كان بارز عظمتي الوجنة ، قصير النظر رغم بريق عينيه ، كما أنه لم يكن من النوع الذي تسهل قراءة عواطفه وخلقه من صورته ومظهره الخارجي ، سوى ما كان يبدو عليه من إمارات الجد والوقار ؛ التي يتميز بها عقلاء الشباب ، ولكنه — إذا صدقت

ذاكرتي — لم يكن على شيء من الجد ولا الوقار ؛ كما أنه لم يكن من العلماء بحال !

* * *

كتبت « القلب السعيد » في الأمسية وأيام العطلات الأسبوعية ، خلال أربعة شهور أو خمسة ، وكما صنع «شيكسبير» في قصته « بن جونسون » لم أكن أعمد إلى تجفيف سطر واحد !

وكما أن فرصة النشر لم تكن حينذاك أكثر من وهم يتأرجح ويضطرب في ذهني ؛ كذلك كانت هذه الفترة من الزمن أهنأ أيام حياتي ... فقد كان من الفكاهة المستملحة أن أخترع أناساً لا أعرفهم ، وأروي عنهم قصة فضفاضة الفصول ، ثم أعمد إلى تسجيل الاختراع والحديث في سطور ! ولقد سمعت بعد ذلك أنني طالما ضحكت في كتاباتي ضحكا طليقاً ؛ ولكني كنت أضحك من غير أن أعني ... ومن المحقق على أي حال أن كتابتي على تلك الحال لم تكن منجاة لي من الجمود أو الاستخذاء ؛ لأن الكاتب كلما كان مرحاً ، وكلما كان له أصدقاؤه وملاهي حياته ، وكلما كان مستمتعاً بمحاسن أيامه إلى غير حد — كان غير ذي حاجة إلى إجهاد خياله لافتعال المفاجآت والحوادث . على أن تفكيري كان حاداً بالتأكيد ، ولكنه لم يكن علمياً منظما . وكان تكوين جسدي متيناً . غير أن سلسلة من الأمراض الموهنة قد تركتني سقيم الجسد هزيلا ، غير قادر على مباشرة الألعاب الرياضية ، وكل حظي منها لم يكن — فيما سلف — أكثر من العبث بكرة صغيرة في شوارع « لندن » الخالية ؛ غير أني كنت كثيراً ما أتروض بالسير على القدمين ، كما كنت أطلع في سعة ، وأفكر في إتقان ، وأغشى مدينة « لندن » وريفها بين رفقة يفوقونني خبرة بالحياة ، كما كنت قليل الحفل بالمستقبل !

* * *

أستطيع أن أقرر أني لم أتوخ في كتابة «القلب السعيد» نهجاً خاصاً أدين به في الحياة الواقعة نفسها . كانت تروق لي نظرية « الاشتراكية » بيد أنني لم أكن أتحمس لها تحمساً فعلياً ولقد كنت في تلك الأيام ، حين كان رزقي خمسة وثلاثين شلناً في الأسبوع ، كما أنا اليوم ... بعد أن اتسع رزقي كثيراً ... شديد الايمان بأن كل إنسان إنما هو الذي يصنع دنياه الخاصة ؛ بغض النظر عن موارد رزقه . كما كنت ولم أزل شديد الايمان بأن السعادة إنما هي ذخيرة شخصية ، تصونها الطبيعة المرحة السامية أكثر مما تصونها الاعتبارات الاقتصادية ؛ وهذه الطبيعة المرحة هي التي جلوتها في شخص بطل « القلب السعيد » فلقد شرق في الأرض وغرب في غير كبير اهتمام وفي غير ما صراع أو جهاد ؛ ولكنه كان يتعقب الحب الذي يجده القارئ في آخر القصة ، ومثله الأعلى لم يكن يعدو الزواج السعيد ، وبيت الأسرة ، والأطفال ، في قناعة بالقليل ورضى بالواقع !

وحدث في عام ١٩٠٨ أن الستر « فيشر آنون » الناشر المعروف ، أعلن مسابقة قصصية عامة ، أرصد للفائز الأول فيها جائزة قدرها مائة كاملة من الجنيهات . وكان هذا القدر من المال خليقاً أن يسيل له لعاب مثلي ... ولذلك أنجزت كتابة قصتي « القلب السعيد » وتقدمت بها بين المتسابقين . وأعقبت ذلك نتيجة محتومة مرتقبة ، ولقد كان يرضيني أن أكون عاشر الفائزين إلا أنني لم أربح ... وكانت صدمة لي ، ولكنها لم تكن شديدة القسوة ، وبعد ذلك أتيح لي حظ نادر ...

كنت — كما قدمت — أعمل في ذلك الحين ببعض مكاتب النشر: أقرأ « البروفات » وأحرر بعض الرسائل ، وكان رئيسي في ذلك العمل رجل اسمه « فيليب لي وارنر » كان يعمل معي قبل ذلك في مكان آخر ، وكان قد قرأ لي من قبل قصتي القصيرة « الطريق الحق » . وقد اتفق أن سألني بعد فشلي في المسابقة ماذا أكتب ، فلما رويت له خبر المسابقة ودخولي بالقصة الأخيرة وفشلي ، طلب أن أطلعه على تلك القصة ، فأجبت رغبته . وبعد أن قرأها دفع بها إلى ثلاثة من أصدقائه الذين يعتد برأيهم . وإني أقرر هذا حتى لا يتوهم بعض البعيدين عن محيط النشر أن فيه سبيلا إلى التحايل . . . وبعد أن تلقى الرجل آراء أصدقائه هؤلاء طلب إلي إحداث بعض التحوير في القصة ، واعداً بنشرها بعد ذلك . ومن عجائب المصادفات أنه كاشفني بذلك في نفس اليوم الذي كنت أحتفي فيه عيد ميلادي الرابع والعشرين !

* * *

تحدث كل الأصدقاء بحسن حظى ، وكانوا جميعاً يشكون في نجاح قصة أنا كاتبها . وقد جاء نجاحها منافحاً عن كفايتى ! والحق أنه كان لى على الدوام أصدقاء يقفون في صف لمواجهة ما يكتنفني من أخطار الغرور في النفس ؛ ولم أكن أغضب لهذا أبداً . بل على العكس من ذلك ، كنت دائماً أعترف بما كانوا يغمرونني به من صفو المودة .

ولم يكن الكتاب « القصة » عملاً جيداً تماماً . فلقد كان مكتوباً في سرعة فائقة وفى قلة اكتراث . وكان بذلك أبعد ما يكون من صفات العمل الأدبي الجدى ، وأبعد ما يكون من الجدارة بالكتابة عنه ، أو مديحه ، ولكنه على أى حال كانت تميزه ظاهرتان ينبغى أن يعنى بهما كل شاب يريد أن يكتب قصة؛ فقد كانت فيه جدة أصيلة ملحوظة ، فضلا عن اندماج المؤلف في الشخصيات التي خلق منها أبطال قصته !

وبعد ظهور الكتاب ، بهرنى ما استقبلته به الصحف التى تحفل بفن القصة ، والحق أنها كانت رفيقة به كريمة عليه . فقد امتدحته كأنما يتفرد كاتبه بعبقرية من طراز خاص ! وقارنته بأعمال « ديكنز » الخالد ! وأسرفت في التنويه بما فيه من أصالة وطرافة . بل لقد بلغ من كرم محرر « المانشستر جارديان » أنه قال « ... لقد بدأ المستر فرانك سونيرتن — أنا — أعماله الأدبية بإحدى الروائع . فقد جعل أبطال قصته في ارتباط وثيق ، كما أفاض عليهم حيوية ملحوظة ؛ وكل ما في كتابه يعتبر هدية ممتازة إلى الفن القصصى من الشخصيات ، والطبيعة ، والحوار . وليس بعد ذلك من شىء يجعل القصة جديرة بالنشر ، خليقة بالاقبال !

ونفدت سبعمائة نسخة من الكتاب في موسمه الاول ولم يكن هذا أمراً مرضياً تماماً . ولكنه لم يكن في تلك الأيام نتيجة سيئة . فقد بلغ نصيب الناشر من ثمن هذه النسخ ثلاثين جنيها . بينما أخرج « أرنولد بينت » كتابه الأول فلم يكسب أكثر من جنيه واحد بعد أجر من وقع نصوله على « الآلة الكاتبة » !

واستأنفت الكتابة بعد ذلك ، لأن الناشر تلقى تشجيعاً كافياً لأن يتفق معى على نشر قصة أخرى . وهذه أيضاً حقيقة لها حظ من الأهمية . فان القصة الأولى للكاتب إن لم تكن أكثر من محاولة غير ناجحة ، فان قصته الثانية خليقة أن تكون بداية طيبة لاحترافه هذا الفن .

وأنا الآن لا أكتب قصصى بالسهولة التى كنت أكتب بها منذ ثلاثين سنة . والواقع أن الانسان كلما تقدمت به السن تزايد شعوره بصعوبة التمشي مع كل الأساليب ! وشعوره بتضاؤل استقلاله وحقوقه كمؤلف . ولكن ، حينما كنت أكتب قصتى « موسم الفكاهة » ، وأنا ابن ثلاث وخمسين سنة كنت أحس بذلك النشاط الذى كان لى حين كنت أكتب « القلب السعيد » قبل ذلك بثلاثين عاماً كاملة .

وحين شرعت في كتابة هذا المقال لم أكن قد تصفحت كتابى الأول منذ ظهوره ، ولكنى وجدتنى مضطراً إلى ذلك حين هممت بتدوين هذا الفصل ، لأكتشف ذلك الموضوع الذي دارت عليه فصول كتابى الأول الذى أشعر بأنى مدين له ، إذ مهد لى السبيل إلى فن من الحياة لقيت فيه ألواناً من السعادة .

فرانك سونيرتن

والإنسان يبحث عن أكسير الشباب . أما العثور على هذا السر الطبيعى فلم يحدث إلا حديثاً بواسطة علم العلاج بالهرمونات الذى برع فيه رجال قياده . بدون منازع . العلامة الأستاذ الدكتور ماجنوس هيرشفلد . لقد قدم جنابه لبنى الإنسان في لولوتيطس الوسيلة الطبيعية الوحيدة لحفظ قوى الشباب والوقاية من أمراض الشيخوخة المبكرة . ابتكار حديث : في حالات . سرعة القذف . يجب استعمال . قوى تيطس نمرة ٣ . ولأجل معرفة كل ما يختص بالأمور التناسلية يجب مطالعة كتاب . الحياة الجديدة . الذى يرسل إليك مجاناً باللغة الفرنسية أو الانجليزية المصورة برسوم ذات ٥ ألوان و٣ للنسخة العربية . أرسل المبلغ طوابع بريد إلى : جلاكسو ورماين صندوق ٢١٠ بمصر